***خلافة المعتضد بالله (279-289 هـ)***

لم يلبث المعتمد على الله ان ادركته الوفاة بعد ستة اشهر من مبايعته لابي العباس وذلك في رجب من السنة نفسها ، وكان المعتمد اول الخلفاء الذين انتقلوا عن سامراء ولم يعد اليها احد منهم ، وفي صبيحة الليلة التي توفي فيها المعتمد بويع لابي العباس احمد بن الموفق وتلقب بـ (المعتضد بالله). وقد وصفه ابن طباطبا انه:- (كان قوي السياسة شديدا على اهل الفساد حاسما لمواد اطماع عساكره عن اذى الرعية) .

***الأحداث الداخلية***

سار المعتضد على خطى والده الموفق طلحة في حزمه وشدته في مواجهة حركات التمرد والعصيان فقضى على الاضطرابات وتصدى للخارجين على الخلافة في أيامه التي وصفها ابن طباطبا بانها ( ايام فتوق وخوارج ) .

وقد شهد اقليم الجزيرة الفراتية في خلافة المعتضد اضطرابات وحركات تمرد قامت بها قبائل شيبان الذين لم يقبلوا بالخضوع للأتراك على الرغم من تغلب هؤلاء وسيطرتهم على الخلافة العباسية ، فكانا على ما يزالون عليه من الاستقلال بأمر انفسهم في ديار ربيعة وديار مضر . وذكر ابن الاثير ان جماعات من قبائل شيبان كانت تدعو الناس الى خلع طاعة العباسيين ، غير ان المعتضد بما عرف عنه من سرعة في تدبير الامور سارع الى الخروج نحو اقليم الجزيرة اوائل صفر سنة 280 هـ فاضطروا الى طلب العفو وبذلوا له رهائن بعد ان بلغهم ما فعله جيشه بالعرب النازلين عند نهر الزاب ، فأجابهم المعتضد الى الصلح ثم عاد الى بغداد .

***حركة القرامطة :***

**أ- ظهور قرامطة العراق والشام** :

اختلف المؤرخون في نشأة هذه الحركة وموطن انطلاقها الاول . ثم اختلفوا حول مؤسسها ومتى كانت وما یعرف عنهم هو أنهم طائفة من طوائف الاسماعیلیة . دانوا بالمذهب على ید دعاة المذهب الاسماعیلي . لم یجتمع راي المؤرخین حول هذه التسمیه ویذكر الطبري عن ظهور القرامطة ، ان ابتداء امرهم كان على ید رجل قادم من بلدة خوزستان الى سواد الكوفة ونزل في موضع یقال له النهرین ، وانه عرف باسم كرمیته لأسباب اختلف حولها المؤرخون و هنا تظاهر بالزهد والورع والتقشف وحدث اصحابه عن ذلك وعلى الصلاة وفرائضها ثم أعلمهم انه یدعو الى امام من اهل البیت. فالتف حوله جمع كبیر من الناس ، اتخذ منهم اثنى عشر نقیبا ،امرهم ان یدعو الناس الى دینهم .

وقد استرعى نشاطه هذا انتباه رجل اسمه الهیصمن من كبار الملاك ،فسعى للقضاء على الحركة في المهد ففشل وفي هذه الآونة كانت ثورة الزنج قائمة و نشیطة في منطقة البصرة ، فذهب قرمط الى صاحب الزنج فناظره ولما وجد اراءه تختلف عن ارائه تركه وانصرف ویقال بانه خرج الى الشام فلم یعرف له خبر .واذا اردنا ان نحلل اسباب ظهور القرامطة في القرن) الثالث الهجري/ التاسع المیلادي( لوجدناها متشابهة ما اسباب قیام حركة الزنج وتعود الى سوء الأحوال الاجتماعیة والاقتصادیة في المنطقة .

استغل حمدان قرمط الفئات المتضررة من سوء الاوضاع غایة الاستغلال ونادى بمبادئ تقبلها . قام اولا بنشر الدعوة الاسماعیلیة في سواد العراق واعتمد على صهره عبدان الذي كان اكبر من نشر الدعوة .و صادفت الدعوة الاسماعیلیة على ید عبدان كثیرا من النجاح حتى انا ابا سعید الجنابي مؤسس دولة القرامطة في البحرین وزكرویه بن مهرویه زعیم القرامطة شمالي غربي بلاد العراق و بادیة السماوة قد اخذا عنه .

لقد حدث صراع بین زعماء القرامطة في العراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان قرمط ففي حین كان عبدان عقل القرامطة المفكر ،كان ال زكرویه یشعرون بأصالتهم في الدعوة وانتهت المنافسة لصالح زكرویه وقتل عبدان . تلقى القرامطة في اثناء.زعامة زكرویه ضربات متتالیة من الخلافة العباسیة في العراق منها تلك الضربه التي وجهت الیهم في نواحي الكوفة سنة 287 هـ/ 900 م . وعلى الرغم من ذلك فلم يكف القرامطة عن نشاطهم ، وزاد انتشارهم بشكل واضح في سواد الكوفة . الا ان الخليفة المعتضد كان قد عقد عزمه على استئصال شأنهم في هذه المنطقة .فوجه الیهم حملات تمكنت من قتل اعداد كبیرة منهم .

فكر زكرویة بن مهرویه بتوجیه نشاط القرامطة الى بلاد الشام لیوسع منطقه دعوته ولیضم عناصر جدیدة اليها مستفیدا من التفكك السیاسي فیها . ولمعرفه اهل الشام بالدعوة الإسماعیلیة التي كانت تسربت الیهم بشكل عام من مدينة سلمية ولحمل المهدي على الموافقة علي تولیتهم) ال زكرویه ( لرئاسة الدعوة .

اسند القرامطة في الشام رئاستهم في بادئ الأمر الى یحیى بن زكرویه المعروف (بالشیخ( فاخذ یدعو الى محمد بن اسماعیل بن جعفر الصادق وتظاهر بالقدرة على اتیان المعجزات . وقد استهوت ادعاءاته بن العلیص فخذ من كلب وكذلك جماعات كثیرة بجوار دمشق .

اشتد أمر القرامطة بعهده في بادیة الشام واخذو یفسدون في المناطق والقرى التي حولهم فنهضت القوى الإسلامیة المسؤولة للدفاع عن الشام كالطولونیون و ولاتهم ففشلوا في ذلك على الرغم من قتلهم لیحیى زعیم القرامطة على ابواب دمشق ثم تولى الخلیفة المكتفي هذا الأمر ،وأرسل الجیوش الواحد تلو الاخر حتى تمكن من الانتصار على القرامطة . فأسر أعداد كبیرة منهم ، كما أسر الحسین بن زكرویه ، وفر من بقي الى البادیة . على هذا الشكل ضعف أمر القرامطة في الشام لقتل اكثر زعمائهم واستئمان البعض الاخر . الا ان زكرویه الذي كان مختبئا واصل تحركه ضد العباسیین وبعثه بدعاته الى بلاد الشام ثانیة . حیث تركزوا في صحراء السماوة، وهاجموا مدن الاردن ونهبوا هیت على الفرات ، وهاجموا الكوفة و نهبوا قوافل الحجاج وفتكوا فیها . واستمروا في نشر الذعر والرعب بین السكان حتى سنه 294) هـ/ 906 م ) حیث قضت علیهم جیوش العباسیین .

**ب\_ قرامطة البحرین**

كان ابتداء أمر القرامطة في البحرین ان رجلا یعرف بیحیى بن المهدي قصد القطیف فنزل على رجل یعرف (علي بن المعلى) فأظهر له یحیى انه رسول المهدي، وذكر انه خرج الى شیعته في البلاد یدعوهم الى امره وان ظهوره قد قرب فأخبر علي بن المعلى الشیعة من اهل القطیف بالامر ، وقرأ علیهم الكتاب الذي مع یحیى فاجابوه واعلموه بانهم خارجون معه اذا ظهر امره .

و وجه الى سائر قرى البحرین بمثل ذلك فأجابوه وكان في من اجابه أبو سعید الجنابي (الحسن بن بهرام) الذي تسلم رئاسة الدعوة و اخذه یعمل على نشرها في البحرین منذ سنه (283 هـ/891 م) وقد وجدت تعلیمه مرعي خصیبا لدى الاهالي ، وعلى الاخص الاعراب الذین كانوا دائما على استعداد للانضمام الى اي حركة ثوریة ما دامت تبیح لهم فرصة السلب والنهب . واتخذ الجنابي مدینة الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجدیدة التي اسسها سنة 286 هـ . واستطاعت هذه الدولة القرمطیة من بسط سلطانها على كثیر من ارجاء جزیرةالعرب ففتح الیمامة وتطاول الى عمان ولما طمع بدخول مدینة البصرة اصطدم مع قوات الخلیفة العباسي المعتمد سنة (287 هـ/900 م) وانتصر علیها كان الحكم وراثیا في أسرة أبو سعید يعاونه مجلس یتكون من12 عضوا. وكما وضع ابو سعید نظاما حربیا دقیقا لدولته استطاع بمقتضاه اعداد جیش قوي من الرعیة . فقد جمع الاطفال في دور خاصة وعین لهم جماعة تشرف على مصالحهم . واجرى علیهم ما یحتاجون الیه واخذ یدربهم على ركوب الخیل واستخدام الأسلحة الحربیة فنشأوا نشأة عسكریة .

اصطدم ابو سعید نتیجه لمطامعة التوسعیة في جزیرة العرب وغیرها مع علماء العباسیین وجرت بینهما حروب متعدده تمكن ابو سعید اثرها من بسط نفوذه على معظم أرجاء جزیرة العرب . وما لبث ان اغتیل سنة 302 هجریة على ید خادم له كان قد ضمه الى جیشه من الجیش العباسي بعد ان وثق به وخلفه ابنه سعید الذي ظل یدیر امور دولة القرامطة حتى ثورة ابي طاهر سلیمان اخیه الاصغر الذي قتله ، وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة.

حصل ابو طاهر علي كتاب تولیته من عبید الله المهدي ، مما یثبت لنا ولاء القرامطة في البحرین للخلافة الفاطمیة في بلاد المغرب ویزید هذا الأمر رسوخا اتحاد الطرفین في سیاسة العداء إزاء العباسیین فقد عمل ابو طاهر على اشغال العباسیین في الشرق بحملاته التي وجهها الى بلادهم ، حتى یتیح للمهدي توطید نفوذه في المغرب .فهاجم البصرة والكوفة مرات متعدده وكاد في سنة (316 هـ/ 929 م) أن یدخل بغداد .كما انه قام في العام التالي بحملة جریئة فأغار على مكة في ذي الحجه سنة 317 هـ في عدد من اصحابه وغایته اظهار الخلیفة العباسي بمظهر العاجز عن حمایة الاماكن المقدسة . فنهب الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام ، كما انه قلع باب البیت وقبة زمزم والحجر الاسود وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بین أصحابه ونهب دور أهل مكة وخطب للمهدي. وفرض على الحجاج اتاوة یؤدونها إلیه مقابل حمایتهم ثم عاد الى الاحساء حاملا معه الحجر الاسود .

حافظ القرامطة طوال نصف الاول من القرن الرابع الهجري/العاشر المیلادي على علاقتهم الودیة مع الفاطمیین في بلاد المغرب .وكان تعیین امراء القرامطة یتم بعد موافقة الخلیفة الفاطمي . وكان لتعاون القرامطة والفاطمیین في نشر آراء المذهب الاسماعیلي اكبر الاثر في صعود نجم العلویین بالقرن الرابع الهجري .على حین بدا أمر العباسیین بالضعف وبسط الفاطمیون سلطانهم على مصر والشام و كثیر من أنحاء جزیرة العرب .

رتب القرامطة نظاما مالیا اشتراكیا ساعد على نجاح هذه الحركة فكان من مبادئ القرامطة أن یؤدي أفرادها ضرائب محددة عینیة في كل سنة . ثم یدفع هؤلاء خمس ما كانوا یكسبون او یملكون ویبدو انهم تنازلوا عن خمس ما یملكون ثم دفعوا خمس ما یكسبون ویقال بأن أهل القرى كانوا یحملون ما یملكون فإذا جمع مشاعا بین الاعضاء وتولى توزیعه رجل من بینهم یثقون به . اذا اوضح قرمط لأصحابه أنهم لا حاجة بهم الى الاموال لأن الأرض بأسرها ستكون لهم .

كان القرامطه لا یقرون بوجود طبقات متمیزة وأخرى محرومة في المجتمع فأفراد أسرة أبي طاهر الجنابي لم یكونوا یمتازون عن غیرهم من الوزراء وأعضاء المجلس الاداري المعروف عندهم بالعقدانیة الا في قیادة الجیش ورئاسة مجلس الوزراء والاشراف على بعض الاعمال مما كانت تقتضیه ضرورة التنظیم وحسن الإدارة وكانت السلطات من تشریع وادارة وتنفیذ محصورة في اعضاء مجلس العقدانية المؤلف من ستة أفراد یختارهم الشعب . وكان لهؤلاء وكلاء یساعدونهم و ینوبون عنهم .

اما عن ملكیة الأرض فلا تتوفر معلومات عما الت الیه و من المرجح ان القرامطة لم یلجأوا الى نزع الاراضي من أیدي اصحابها و كان هؤلاء یقرضوا صاحب كل حرفة مایحتاجه من المال حتى یشتغل و یجمع من المال ما یكفیه ویكفي اسرته . كما كانت الحكومة تقدم المساعدات لمن تحل بهم مصیبة او كارثة ، وقد ضرب القرامطة نقودا خاصة بهم في البحرین من الرصاص لم تكن متداولة إلا في منطقتهم ومن المرجح انها سكت من الرصاص كي لا یطمع أحد بجمعها واخراجها.

وقد أسهمت المرأة في المجتمع القرمطي في تحمل الاعباء المالیة التي یطلبها بناء المجتمع وأدت الضرائب مع الرجل وكما قدم الرجل خمس ما یملكه قدمت المرأة خمس ما تغزل ، وحین یدعو الأمر للتبرع تسارع النسوة بتقدیم ما یملكن من حلي و متاع ، من مایحصلن علیه ویتكسبنه من الاشتغال بالغزل .

ویبدو ان المراة اخذت حقها في التنظیم القرمطي واخذت حریتها كاملة . ولا رقیب علیها غیر المصلحة العامة وبالتالي نجد ما قیل عن الاباحیة في التنظیم القرمطي لا یمكن الاخذ به . لما تمتعت به المرأة من الاحترام في ذلك المجتمع ولما عرف عن قوة الرابطة الزوجیة . ومن أهم ما جاء للمرأة في قوانین القرامطة تحدید الزواج بواحدة والغاء المهر وحق المرأة في العمل وفي التعلیم وفي الطلاق وفي رفض الزواج بتاتا ، واعفاء المرأة من الاعمال الشاقة ومنها طحن الحبوب واستخدام القرامطة كتعویض لذلك مطاحن تدور بقوة الماء جعلت مجانیة وذلك لتخفیف الاعباء عن النساء .

وهكذا فانه من خلال دراستنا للحیاة الاجتماعیة في المجتمع القرامطي ندرك بأن حیاة القرامطة في هذا المجال كانت متقدمة ویبدو كما اوضح الدكتور الدوري في كتابه تاریخ العراق الاقتصادي ان هذا التقدم الاجتماعي كان على حساب الجانب الدیني ویبدو أن القرامطة اعتبروا أن الدین قضیة اجتماعیة تهدف الى تحقیق العدالة للمجتمع الذي له أن یمارس طقوسة الدینیة كیفما اراد ویبدو أن الخلاف الذي قام بین الفاطمیین والقرامطة كان نتیجة للتطرف المادي للحركة القرامطیة وبقاء الدعوة الاسماعیلیة دعوة روحیة .

***سیاسة المعتضد الداخلیة***

تمیز عهد المعتضد بالنشاط والسرعة في العمل فكان قاسیا في الحق شدید العدالة سار على سیاسة ابیة الموفق في تدعیم كیان الدولة فقضى على الثورات الداخلیة واعاد الأمن والاستقرار الى منطقة شمالي العراق ووسطه وقضى على حركات الخارج في الجزیرة الفراتیة وانزل بالقرامطة ضربات قویة أخمدت حركتهم .

اما عن سیاسته الاقتصادیة فتشیر الروایات التاریخیة الى ان المعتضد بدا خلافته و الدولة تكاد تكون خاویة فشرع باصلاح الوضع المالي في العراق، واولى عنایة خاصة بتحسین نظام الري وحفر القنوات كما قدم البذور والمعونات الى الفلاحین وحاول تحسین طرق الجبایة فامر بتاخیر موعدها من شهر نیسان الى حزیران لیتفق ذلك مع موسم نضوج الحاصلات الزراعیة ، كما اهتم بحمایة الزراع من تعسف الجباة ، ونظم الضرائب في مناطق الجبال والجزیرة ، وتم في عهده انشاء دیوان الدار لیشرف من خلاله على الدواوین المختلفة التي تنظر في الأمور المالیة وتنظیم اعمالها .

***وفاة المعتضد بالله***

في شهر ربیع الثاني من سنة ٢٨٩ هـ توفي المعتضد بالله ، وكانت مدة خلافته سبع سنین وتسعة اشهر وثلاثة عشر یوما ولما توفي كتب وزيره القاسم بن عبید الله الى ابي محمد علي بن المعتضد یعرفه بوفاة ابیه ویأخذ البیعة له وكان الأخیر بالرقة ، فبادر باخذ البیعة على من عنده من الأجناد ثم اسرع في العودة الى بغداد ودخلها في الثامن من جمادي الاولى من السنة نفسها